إضاءة

كتابةٌ تريد العالَم وتريد توسيعه

أزمة شعراء لا أزمة قصيدة

من المؤسف أن يُقاس حضور الشاعر بمعيار ملاحقة الخارج وما يدور فيه من أحداث وأزمات، لأنّ تجربة الشاعر ـ أو الفنان بعامّة ـ لا داخل لها ولا خارج. عالم الشاعر أوسع من حدود هذه القضايا أو الأزمات: هو حاضرٌ كتجربةِ كشفٍ مصيريّ ذي معنىً

محمد الأسعد

مع كلّ حدث سياسي كبير أو كارثة وطنية أو قومية، يتساءل ويثير نقّادٌ وشعراءُ، أو عابرون، مسألة القصيدة العربية في الزمن الراهن أو القريب، فيبدأون الحديث عن «أزمة القصيدة»، ويتمحور الأخذ والشدّ حول ظاهرة يُساء فهمها كثيراً، ولكنها تعبّر في الوقت نفسه عن عدم رضا عن ردود فعل الشعراء، أو عدم ردّهم تجاه الأحداث، أو عن الإحساس بأن القصيدة لا تُغيّر شيئاً في العالم من حولنا.

إثارة هذه المسألة، وبهذا التوصيف، أي أنها «أزمة قصيدة»، تدفع بداية إلى السؤال: هل هناك أزمة قصيدة؟ وماذا يعني أن تتأزّم القصيدة، هذه الكينونة التي لا تقوم بذاتها بقدر ما تقوم بفعل إنسان؟

يفترض هذا التوصيف وأشباهه وجودَ قصيدة عربية واحدة وحيدة تسوّر إليها جمعٌ من الشعراء الأسوار، ودخلوا حديقتها استجابة لحاجتهم إلى «القصيدة» الناعسة تحت أفياء شجرة، أو شرفة، وتناول كلّ شاعر طرفاً من أطرافها، ليتشارك الجميع في رفعها، فتفلت أو تنحطّ أو تنحدر أو تتشابك وتتعقّد سطورها. هذه صورة كاريكاتورية مضحكة تمثّل فرضيةً متخيلة.

لا أعتقد أن هناك وجوداً لقصيدة من هذا النوع، أو في مثل هذا الوضع، لأن القصائد متعدّدة بتعدّد الشعراء، وما يُصيبها مجتمعةً أو متفرّقةً إنما يُصيبها بفعل هذا الشاعر أو ذاك. أعني أن الأزمة ـ إن كان هناك من أزمة ـ هي أزمة شعراء، أو بتبسيط أكثر، هي أزمة أفراد من الجنس البشري لم يعودوا قادرين على كتابة قصيدة تنسجم مع طموح متسائلين أو قرّاء أو طموح ثقافة. إذاً، هناك مطمحٌ ثقافي، يصدر كما يبدو عن وسط أو أوساط قد تكون صحافية أو سياسية أو أدبية أو اجتماعية، ترى أن ما يُكتب ويُنشر من شعر يعجز عن إحداث فِعْلٍ نفسي أو اجتماعي أو ثقافي كما كان يحدث في الماضي، أو يتجاوب مع حاجات الالتفات إلى هذه القضية أو تلك. وترتبط هذه الأوساط ـ على الأغلب ـ بين هذا وبين انكسارات وأحداث وهزائم أمّةٍ أو شعب. وبذلك تختلق رابطاً سببيّاً بين هذه الانكسارات وعدم التفات الشعراء إلى ما يشغلها، أو اتجاههم نحو دواخلهم؛ انكسارُ أمة، أو ما ينزل بها من نوازل، يفسّر انكسارَ شعراء، وتفسّر هزيمتها حين تحدث في معركةٍ هزائمُ شعراء. وكذلك العكس أحياناً. كيف يَمْثُلُ هذا الانكسار وتتمرأى هذه الهزيمة؟ إنهما يمثلان ويتمرآيان في اتّجاه الشاعر بقصيدته نحو الداخل، وفقدان الاتصال بين قصيدته والخارج، وتحديداً ما يدور فيه من أحداث ووقائع.

إذاً، هذا المطمح الثقافي لأوساط متنوّعة المشارب والغايات يريد من الشاعر أن يحمل قصيدته ويتّخذ طريقه إلى الخارج، أن يقف على منبر أو في وسط ميدان، وأن تتّصل قصيدته بما يدور حوله من أحداث، وخصوصاً أن هناك حاجة ملحة، كما ترى هذه الأوساط عادةً؛ فنحن نعيش أزمتين أو أزمات (انكسارات وهزائم) ولا تكون قصيدة الشاعر في نظرهم قصيدة حقاً إلا إذا اتّصلت بالخارج، وتعاملت مباشرةً مع أحداثه وإلزاماته، وإلا فهي في أزمة.

وفق هذا المنطق، لو افترضنا عدم وجود هذه الأحداث والإلزامات، هل ستسمحون للشاعر بالعودة إلى داخله؟ أم ستجدون أزمات خارجية أخرى تسحبه دائماً من الداخل؟

هذا التكييف لما يُدعى «أزمة القصيدة» على خطأ من منطلقَين: أولاً، لا وجود لتلازمٍ بالضرورة بين انكسار وهزائم أمة وانكسار وهزيمة شاعر. للشعر قوانين انكساره وانتصاره المستقلّة إلى حدٍّ ما. فقد يكون منكسراً ومهزوماً ـ أي رديئاً ـ بكلّ المعاني المتصوَّرة، حتى في وسط انتصارات وأمجاد الأمة، وقد يكون عظيماً ورائعاً وسط الهزائم والانكسارات.

ثانياً، لا يترادف الداخل والخارج مع الانكسار والخسارة والاتصال بالخارج وما يدور من أحداث. هذا توصيف لا يصلح لما يدعونه «أزمة القصيدة»، لأن تجربة الشاعر أو الفنان بعامّة لا داخل لها ولا خارج، هي داخل وخارج معاً وشيء آخر هو الحضور الإنساني في العالم. ما الذي نعنيه بالحضور، وما الذي نعنيه بالعالم؟ من المؤسف أن يُقاس حضور الشاعر، سواء في الماضي أو الحاضر، بمعيار ملاحقة الخارج وما يدور فيه من أحداث، لأن حضوره أعمق من هذا بكثير، وعالمه أوسع من حدود هذه القضايا أو الأزمات. هو حاضر كتجربةِ كشفٍ مصيريّ ذي معنى، وعالمه ليس هو فقط عالم الراهنين بل عالم الذاهبين والقادمين أيضاً. هو تجربة شخصية بالضرورة، وعالَم مأخوذٌ بتعابير الشخصية الفريدة، ولكنّها من هذا العالم وليست من عوالم أخرى.

اسمحوا للشاعر إذاً أن يُقارب هذا العالم مقاربةً مختلفةً عما تُعلّمه المدارسُ والجامعات والأحزاب والحكومات، أو هذه الكتلة التي تسمّونها عادةً المجتمع أو الأمّة.

اسمحوا له أن يقول وعيه الشعري بالعالم، لا أن يستعير خطاباتكم، فيتغيّر أو يتوقّف عن التغيّر كما تشاء رغباتكم مهما كان لها من قداسة في نفوسكم.

إذا أفلت الشاعرُ والشِّعرُ من هذه الإلزامات ـ التي أراها خارجيةً، لا تعلّق لها بوظيفة صياغة رؤية فريدة ـ سيقع في حقلٍ مختلف ومعايير مختلفة ومشاغل أعمقَ، وغاية أكثر روعة، أو بعبارة مختصرة: سيقع في واقع مختلف، حين تسألون لماذا الابتعاد عن الواقع؟ سيسأل الشاعر من جانبه ما هو المقصود بالواقع؟ هل هو هذه الأحداث التي تصفون؟ أم تلك التي يصفها قومٌ آخرون وثقافة أخرى؟ هل هو واقع الماضي أم الحاضر أم الآتي؟ أم هو مجموع كل هذا؟

تأمّلوا صورةَ واقع الماضي الذي يعيش فينا، وصورة واقع الحاضر، وتأمّلوا صورة واقع الآتي بعين واحدة تعلو على الزمن، عندها ستدركون أن «واقع» الشاعر شيءٌ مختلف يطمح إلى استكمال الوجود أو إحياء الوجود بكلّ أبعاده. دعوتكم للالتصاق بهذا الحدث أو هذه الأزمة هي دعوةٌ لعزف معزوفة ناقصة بالة واحدة لا تُشارك فيها آلات الماضي ولا آلات الحاضر. وما هكذا يحيا الشعراء أو يودّون للبشر أن يعيشوا حياتهم.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

هي أزمة أفراد لم تعد قصيدتهم تنسجم مع مطمحٍ ثقافي ما

طموح الشاعر هو أن يحيا الوجود بكل أبعاده في وقتٍ واحد

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عمل بلا عنوان لـ حقود شتوت (سورية)، مواد مختلفة على قماش، 2018

فرادةٌ يمكن الإصغاء لها

من الأفضل الإصغاء إلى الوعي الشعري بالعالم ومطالبة الشاعر أن يكون فريداً وروبوتاً في وعيه، لا صانع تسليات أو مُحاكياً. أن يكون جاداً وكبيراً في مطامحه، لا باحثاً عن شهرة أو مهرجان باذخ. نعم، لكل إنسان الحق في أن يطالب الفنان والشاعر وكل صاحب بصيرة ورؤيا أن يكون جميلاً ومسؤولاً، أن يكون معبّراً عن أعمق النوازع الإنسانية، ولكن أتركوا له أن يكون حرّاً في مقاربته لكلّ هذا وللعالم، بطريقته الخاصة.

إطلالة

الكاتب بوصفه مُرشداً إلى الأمل

حياتنا بعد الخمسين

المتتبّع لكثير من الكتّاب العرب إبّان النصف الأول من القرن 20، يلاحظ اهتماماً باليومي والعام في الوقت نفسه. اهتمامٌ اختفى في أيامنا هذه

ممدوح عزام

حين وصل كتاب سلامة موسى «حياتنا بعد الخمسين» إلى الأسواق السورية، عام 1974، مطبوعاً في سلسلة «اقرأ» التي كانت تصدرها «دار المعارف»، كنتُ قد قرأتُ كتاب غالي شكري «سلامة موسى وأزمة الضمير العربي»، وهو عنوانٌ جميل يتّكئ على عنوان كتاب بول هازار الشهير «أزمة الضمير الأوروبي»، كما يشير إلى ذلك غالي شكري نفسه في المقدّمة.

كان سلامة موسى يمثّل في تلك السنوات الخطّ الراديكالي المميّز في الثقافة العربية، وقد اختار أن يكون في الجانب المعارض الشجاع لمعظم ما تمثّله الثقافة التقليدية المحافظة والجامدة في الحياة العربية. وهو صاحب «الحياة والأدب»، و«تربية سلامة موسى»، و«كتاب الثورات»، و«مقالات ممنوعة»، و« حرية الفكر» ـ وهي عناوين تنشغل بأكثر المسائل الحيوية التي كانت تشكّل البوّابة الطبيعية لجيله من الكتّاب الذين اختاروا المستقبل وقضايا البناء من أجل المستقبل. والراجح لدى عدد من النقّاد، ومن بينهم غالي شكري نفسه، أن شخصية عدلي كريم، في ثلاثية نجيب محفوظ، إنما كانت الصورة الروائية لسلامة موسى، كما يمكن الاستنتاج من حياة نجيب محفوظ نفسه.

أعتقدُ أن روائياً مثل محفوظ نفسه ما كان ليسجّل حضوراً فنياً لشخصية من العالم الواقعي لولا الأثر الفكري العميق الذي تركه في نفسه حين التقى به في شبابه.

هذا هو الكاتب الذي سوف يُصدر فيما بعد كتاباً يتحدّث فيه عن الكهولة، كما يمكن أن يتخيّل المرء حين يرى العنوان. والحقيقة أنه بدا غريباً، بالنسبة إليّ، أن ينشغل كاتب نهضوي ـ يتّسم شغله بالتنوير ـ بالكلام عن مسألة شخصية مثل تقديم النصائح لحياة المرء بعد الخمسين.

غير أن الكتاب كان يتّخذ سمتين اثنتين: الأولى أنه كان يمثل اتّجاهاً في الكتابة، يتّخذ فيه الكاتبُ دورَ المعلّم والمرشد والداعية، بحيث لا يَغفل عن أيّة قضية من القضايا التي يمكن أن تساعده في عمله التنويري، ومنها قضايا السلوك العامة والخاصّة التي يجب أن تُتَّبع في حياتنا كي نتمكّن من توجيه خياراتنا الجديدة في عالمنا. والثاني أنه اختار أن يتجاوزَ مسائل الغذاء، دون أن يُهملها تماماً، ويركّز كتابته على الكيفية التي يستطيع من خلالها البشر تحقيق البقاء النشط والحيّ، على صعيد الحياة والفكر.

المتتبّع لكتابات الكثير من الكتّاب العرب، وخاصّةً في مصر، إبّان النصف الأول من القرن العشرين (خذ عبد القادر المازني أيضاً) سوف يلاحظ هذا الاهتمام باليومي والعام في الوقت نفسه.

أظنّ أنها سِمةٌ تنويرية تمثّل ما كانوا يؤمنون به فعلاً، إذ كانت الحياة أمامهم، وكان المستقبل هدفاً حقيقياً يمكن أن تطاوله أيديهم، وكان الأمل هو «ألّا نستقيل من الحياة»، كما قال سلامة موسى في مطلع كتابه. اختفى اليومي من جدول المكتوب في حياتنا الآن تقريباً، فإمّا أن الانشغال بالكتابة عن الصدق والكذب والحسد والرشوة والنفاق وكيف تعيش يومك؟. مشاغل صغيرة لا تليق بالحبر. أو أن الحياة العربية قد طفح فيها الفساد إلى حدود إغلاق الباب أمام البذور الممكنة للتفاؤل بالآتي.

(روائي من سورية)

طفَح الفساد بالحياة العربية حد إغلاق الباب أمام بذور التفاؤل

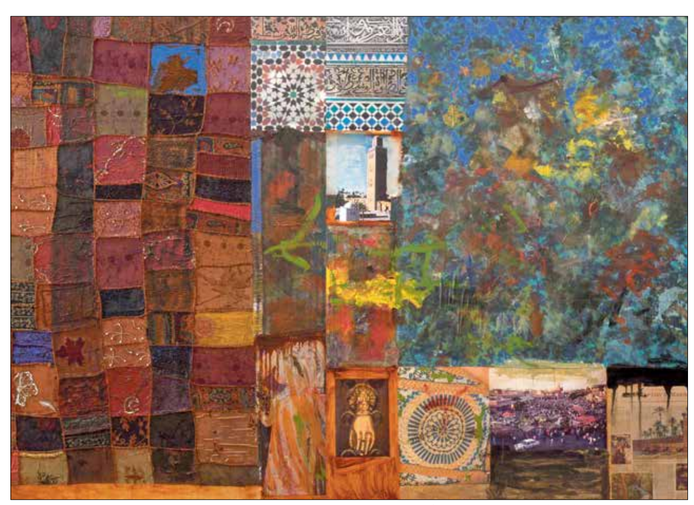

عمل لـ محمد عمر خليل (السودان)، مواد مختلفة على خشب، 152 × 243 سم

صوت جديد

هوسٌ بالسريالي وولعٌ بالواقعي

سالبي بغده صاريان

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامحه وانشغالاته

أشعر بالحزن لفقدان الوعي الجماليّ في بلادنا العربيّة

باريس ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

الكتابة الجديدة هروبٌ من سطح البحر إلى قاعه، وإرغامُ الكاتب للقارئ على اكتشافِ حبيْبَاتٍ وصورٍ وحقائقَ في حيواتٍ مُغايرةٍ عن المنظورِ المُتاحِ في حلقةِ الأمان المُعتادة.

■ هل تشعرين نفسكِ جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

الأدبُ حياة، وأنا أعشقُ الحياةَ كُلّها، بملامحِها المتغيّرة المتغايرة. وهذا يفسّر هَوَسي بالسرياليّة، وَوَلَعِي بالواقعيّة في آنٍ واحد.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

إن لمْ أكنْ قد تملتُ بأمل دُنقل وبدر شاكر السّياب ونزار والمتنبّي (والقائمة لا تنتهي)، ما كنتُ كتبتُ كلمةً واحدةً، وما كنتُ رسمتُ لوحةً لولا تشبُّعي بلوحاتِ رامبرانت وفان غوخ وغيرهما الكثير.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

أعيشُ منذ أربع سنواتٍ في فرنسا، حيث الشّهيّةُ متأجّجةٌ للأدب والفنون. حفلاتٌ موسيقيّة وقراءاتٌ شعريّة في الطرقات، شيء لا يُصدَّق! ورغم سعادتي، أشعرُ بالحزن لفُقدان هذا الوعي الجماليّ في بلادِنا العربيّة.

■ كيف صدَرَ كتابُكِ الأول وكم كان عمرك؟

«أربعون طائرةً ورقيّة»، ديواني الشّعريّ الأوّل طُبِعَ وأنا في الأربعين من عمري، بلُغتَين: العربيّة والفرنسيّة، بترجمةِ الأديبة سعاد لعبيز، وصدر عن دار نشر Éditions des Lisières. يتناولُ كتابي قضيّةَ تَعنيفِ المرأة.

■ أين تنشرين؟

سبقَ ونشرتُ في الصحف والمجلات الأدبيّة. مؤخّراً نُشرت لي قصائدُ بالفرنسية في أنطولوجيا «القِيمة العشريّة للسعادة» للمترجمة سعاد لعبيز، وهذه الأنطولوجيا تضمُّ قصائد 95 شاعرة وشاعراً عربياً.

■ كيف تقرئين وكيف تصفين علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

أنا مُنْقِّبةٌ فُضوليّةٌ، أبحثُ عن الجمال الفكري والمبادئ في كلّ مكان. فأكونُ منهجيّةً مخطّطة في قراءاتي لأدباء أثبتوا قيمَتَهُم الإبداعيّة، وعفويّةً فوضويّةً في نَبْشي عن كنوز أدبية، كلاسيكية أو حديثة، في الكتب والإنترنت.

■ هل تقرئين بلغة أخرى بجانب العربية؟

أعشقُ العربيّة، وأقرأ بلغتي الأمّ، الأرمنيّة، بالإضافة إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة والتركيّة.

■ كيف تنظرين إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترجَم أعمالك؟

حتماً أرغبُ بترجمة أعمالي، فالترجمة هي «عنقاء الأدب»، ولادةٌ وبَعث. لكنّ الترجمة حُلمي أيضاً، وأرغبُ بترجمة ثروات الأدب إلى اللغات التي أتقنُها.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

أكتبُ روايةً ومجموعةً قصصيّةً عن الحرب في حَلَب. وأنهيتُ مُؤخّراً ترجمةَ كتابَيْن شعريَيْن إلى العربيّة، لشاعرةٍ فرنسيّةٍ ولشاعرةٍ أرمنيّة، سيَريان في النورِ في الوقت المناسب.

سالبي بغده صاريان

بطاقة

شاعرة وفنانة تشكيلية سورية من مواليد حلب في عام 1979، ومقيمة في فرنسا. صدرت لها مجموعة شعرية مزدوجة اللغة (بالعربية والفرنسية) بعنوان «أربعون طائرة ورقيّة» (2020) عن منشورات Éditions des Lisières في فرنسا، ونُشرت قصائدُ لها في أنطولوجيا «القِيمة العشرية للسعادة» (2018)، من ترجمة وتحرير سعاد لعبيز.

فعاليات

تقام غداً السبت تظاهرة **ليلة المتاحف الأوروبية** في عدة بلدان من القارة العجوز. تقوم فكرة التظاهرة على إتاحة المتاحف للزوّار في أوقات غير معتادة، حيث تظل مفتوحة إلى ساعة متأخّرة من الليل، مع تنظيم فعاليات تقدّم محتويات المتاحف وتُبرز طرق حفظ المقتنيات كلّ بحسب نوعيته؛ أثرية أو طبيعية.

بين الخامس والتاسع من الشهر الجاري، تنظّم **دائرة التنمية المتحفية** في **المعهد الوطني للتراث** بتونس الدورة الأولى من **أيام المحافظة على المجموعات المتحفية**، المخصّصة هذا العام للمنسوجات. تقام التظاهرة في «متحف الزعيم بورقيبة» بمدينة سفاقس على الساحل الشرقي لتونس وتتضمّن ورشات لمختصين في صيانة المنسوجات، مثل كوثر مصدق وايمن شيخاوي وليليا معلمي.

حتى الرابع من الشهر الجاري، يتواصل في ستراسبورغ الفرنسية **مهرجان سيمفونية الفنون** الذي يقام في الهواء الطلق في **حديقة الضفّتين** في المدينة. مساء اليوم، يقدّم برتران بيلين عرضاً على الآلات الإيقاعية، وغداً تقدم **الأوركسترا الفيلهارمونية بستراسبورغ** عرضاً بعنوان **من الفجر إلى الغروب**.

تنظّم مجموعة **كنوز مصر** على فيسبوك جولة ثقافية، اليوم، تتضمّن زيارات إلى **متحف الحضارة المصرية** وقبة الإمام الشافعي (الصورة) ومقابر العائلة المالكة بحوش الباشا. بات هذا الشكل من المبادرات الثقافية رائجاً في الفترة الأخيرة، حتى في الغرب، نظراً لتقلّص التظاهرات الثقافية من ناحية الكم.